أسس العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم واثرها في تحقيق الأمن الاجتماعي

حسين علي السلطاني

تقديـــــــم البحث ٢٠١١/١٠/٦
قبول نشر البحث ٢٠١١/١٠/٣١

يدور الحديث في هذا البحث حول أهم أسس العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم،وقد استعرض الباحث فيه إثنى عشر اساساً، وهي: حرمة حياة الانسان وكرامته، و التعاون على البر والتقوى، والأخوة، والعفو والصفح، والتناصح، وإفشاء السلام، والستر على عيوب الناس، وحسن الظن، والنهي عن الإستهزاء والسخرية، والنهي عن التجسس، والنهي عن الغيبة، والنهي عن النميمة، وقد تبين أنّ القرآن الكريم أولى العلاقات الإجتماعية إهتماماً خاصاً وعناية إستثنائية وذلك لدورها الكبير وأثرها البالغ في تحقيق الأمن والإستقرار الإجتماعي، وقد تضمّن البحث مطلبين:

الأول: أهم أسس العلاقات الإجتماعية في القرآن الكريم

الثاني: أثر هذه الأسس على تحقيق الأمن والإستقرار الإجتماعي

نأمل أن يكون هذا البحث خطوة باتجاه الكشف عن ثقافة القرآن الغنية، واعتمادها فيما بعد، في أوساطنا الإجتماعية لننعم بحياة حرّة كريمة، تحكمها قيم الحق والعدل والمساواة، وتسودها مشاعر الإلفة والمحبة والتعاون، وينتشر فيها الخير والأمن والأستقرار.

المطلب الاول: أسس العلاقات الإجتماعية في القرآن الكريم

لمّا كان القرآن الكريم يريد أن يبني مجتمعاً صالحاً، تحكمه العلاقات الانسانية السليمة، والروابط الاجتماعية العادلة فقد وضع أسساً عديدة، لتحقيق هذا الغرض، من أهمّها:

أولاً: حرمة حياة الإنسان وكرامته

أولى القران الكريم الإنسان اهتماماً كبيراً وحظي بعناية خاصة في تشريعاته، حيث إعتبر حياة الإنسان قيمة عظمى، وامراً مقدساً، لايحق لاي أحد أن يتعرض لها بأذى، او يقلّل من قيمتها إلا باذن الله وفي ما وضعه الله سبحانه وتعالى من أحكام في هذا المجال (وقد بلغ الأمر بالإسلام أن جعل حفظ الحياة واجباً على كل مسلم، في الموارد التي يحترم فيها التشريع الحياة، بحيث إن الأمر اذا دار بين أن ينتهك الإنسان حدود بعض المحرمات، وترك بعض الواجبات وبين أن يترك إنقاذ المؤمن،فإنّ التشريع الاسلامي يبيح إرتكاب الحرام لمصلحة حفظ حياة المؤمن لأنّها أكثر اهمية لدى الشرع وإذا دار الأمر بين ترك المهم والأهم، تقدم الأهم)[١]

ومن هنا شدّد القران الكريم أيّما تشديد ، وفي أكثر من موضع ، على حق الانسان في الحياة، و حرمة إزهاق روحه من دون حق، منها قوله تعالى:

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ

وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً {} وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً } [٢]

وفي تفسيره لهذه الآية، قال السيد السبزواري (قده): (ـ في هذه الآية ـ بيان لأهم حكم من الأحكام الإلهية، في أبلغ إسلوب، وأفصح عبارة تدل على نفي الشأن الذي هو أبلغ من نفي الفعل، أي: لا يوجد في المؤمن بعد دخوله في حريم الإيمان إقتضاء لقتل مؤمن أبداً، بل لا يليق بحاله ولا ينبغي له قتل من تشرّف بالإيمان بالله ورسوله مطلقاً، أي قتل كان،... وإنما ذكر الله عزوجل المؤمن لبيان أن الإيمان جُنّة واقية من كل ظلم وجريمة ، وهو يمنع صاحبه من قتل أخيه المؤمن بعد أن دخل في حريم الايمان وحماه ، والآية الشريفة وإن كانت لنفي الشأن والإقتضاء، لكنها متضمنة للحكم التكليفي ، فتنهى عن القتل فيكون النفي بمعنى النهي والمبالغة وشدة التنزيه عن ارتكاب القتل) [٣]

ومنها، قوله تعالى:{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ {} إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {} إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [٤]

فهذه الآيات الكريمة، أشارت على عدّة أمور:

ألأمر الأول: التشديد على حرمة حياة الإنسان، وقداسة مكانته في الوجود بحيث جعلت قتله من دون مسوغ شرعي قتلاً للانسانية جميعاً، وبالمقابل فإن إنقاذ حياته من الموت يعتبر انقاذاً للبشرية بأجمعها، ألأمر الذي يؤكد الأهمية الكبيرة التي يوليها القرآن الكريم لحياة الإنسان ومكانته في الوجود وقد اختلف المفسرون في تفسير هذا المقطع من الآية (فمنهم من قال: إنَّه مبالغة في الردع عن جريمة القتل، والحث على إنقاذ النفس وتخليصها من المهلكات ، ومنهم من قال: إنَّه بيان لحقيقة القاتل والمحسن، بأنّ من أقدم على قتل واحد يقدم على قتل الناس جميعاً، وأنّ من أحسن إلى واحد من الناس يحسن للجميع مادام الدافع له هو حب الخير والإحسان ، وقال آخرون: إنّه بيان للطبيعة النوعيّة في الإنسان وإنها تتمثل في البعض والكل على السواء لا تزيد بكثرة الأفراد وتنقص بقلتهم، وذهب الشيخ مغنية (رحمة الله) إلى أن الفرد في نظر الإسلام هو غاية بنفسه،لا وسيلة لغيره وأنه ظاهرة انسانية له مالها من الحرمة والكرامة، وأن العدوان عليه، عدوان على الانسانية التي تتمثل به وبالناس جميعاً وأن الإحسان إليه إحسان الى الناس جميعاً) [٥]

الأمر الثاني: إطلاق القتل، وعدم تقييده بشئ مما يوحي أن معنى الآية يشمل القتل المادي والقتل المعنوي، كما تشير إلى ذلك الروايات الصادرة عن المعصومين (ع) [٦]

الأمر الثالث: إن هذا الحكم لا يختص ببني إسرائيل إنّما يشمل الجميع ويعم كل من ارتكب هذه الجريمة، لكن ذكر بني إسرائيل تحديداً ربما لأنهم أكثر الناس جرأة على هتك حرمات الله، وسفك دماء عباده، وتأريخهم القديم والحديث يبرهن على ذلك.

ألأمر الرابع: ذهب المفسرون إلى أن المراد من (**الذين يحاربون الله ورسوله**) الواردة في الآية: (هو إرتكاب العدوان من قبل قطاع الطريق خارج المدن او داخلها، وعلى هذا الاساس فان الآية تشمل ايضاً الأشرار الذين يعتدون على أرواح الناس وأموالهم ونواميسهم، ومما يلفت الانتباه في هذه الآية أنها اعتبرت العدوان الممارس ضد البشر بمثابة إعلان الحرب وممارسة العدوان ضد الله ورسوله، وهذه الآية تبين بل تثبت مدى إهتمام الإسلام العظيم بحقوق البشر ورعاية أمنهم وسلامة أرواحهم) [٧]

ثانياً: التعاون على البر والتقوى:

ومن الأسس الأخرى التي يطرحها القرآن الكريم لبناء العلاقات الإجتماعية في الإسلام، هو مبدأ التعاون على البر والتقوى، وهذا المفهوم يمثل المعنى الجامع للفضائل، فالقرآن الكريم دعى الناس في أكثر من

نص أنْ يبنوا علاقاتهم على أساس التعاون والتآخي والعدل والانصاف ومراعاة الحقوق، حتى يعيشوا السعادة الحقيقية، والأمان الشامل ،والأطمئنان الروحي والجسدي على حدٍ سواء، ونهاهم عن الظلم للآخرين والعدوان على حقوقهم وحرياتهم، لأن في ذلك شقاءهم وتعاستهم في الدنيا والآخرة، وحذرهم من التهاون وعدم الإلتزام بهذه الأوامر، فالله سبحانه وتعالى يغفر لمن يتهاون بحقوقه لكن لا يتساهل مطلقاً مع التعدّي على حقوق الناس:

{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [٨]

يقول السيد السبزواري (قده): (إن هذه الآية المباركة من جوامع الكلم التي تبين قاعدة من القواعد التي تبتني عليها سعادة المجتمع الإنساني، وركن من أركان الهداية الاجتماعية التي تقوم على التعاون بما ينفع الناس في دنياهم، وأساس مهم من أسس الاجتماع الانساني وقد بنى الإسلام هذه القاعدة الإجتماعية المهمة على ركيزتين هما: التحلية بالتقوى والطاعة والعمل الصالح، مما يجعل المجتمع وحدة اجتماعية متكاملة له هدف معين ونظام واحد قويم، فأمر بالتعاون على البر والتخلي عن اضدادها واكدها بالنهي عن الاثم اي: المفاسد، كالبغضاء والعدوان ومساوئ الأخلاق وغيرها من الصفات السيئة ،ونهى عن كل ما يعوق عن تنفيذ هذا الحكم ويكون مانعاً من تأثيره وسبباً في الشقاء والحرمان ،وهو العدوان الذي يجعل أفراد المجتمع أعداء متباغضين ليس لهم هدف ونظام بل يفكك المجتمع ويهدد كيانه ويفسد سعادته والآية الشريفة على إيجازها البليغ واسلوبها البديع، تبين نظرية الإسلام في الإجتماع وتتضمن خلقاً كريماً من مكارم الأخلاق [٩]

إن دعوة القرآن الكريم الى التعاون تنطلق من ضرورة واقعية، تتمثل في أن الحياة الإجتماعية لا يتم لها النجاح ولا تتحقق لها السعادة إلاّ في ظل اجتماع الطاقات وتضافر الجهود، من أجل تحقيق المصالح المشتركة، والاهداف العامة التي تعود بالنفع والخير على جميع أبناء المجتمع، وإنما ينهي عن الإثم والعدوان(لأنهما يهدمان الحياة ويضعانها في أجواء الضياع، والقلق والضلال ويحولانها الى غابة لا تحكمها القوانين والشرائع بل تتحكم فيها القوة الغاشمة العمياء ؛ ليكون الحق للاقوى بعيداً عن ميزان العدل الذي يجعل القوة للحق ،فالله سبحانه وتعالى يريد للناس أن لا يتعاونوا على الاثم والعدوان بحيث يصرفون كل طاقاتهم بهذا الإتجاه ،ويريد منهم أن يبتعدوا عن الجو المحموم الذي تخلقه مجتمعات الإثم والعدوان في نفوس الأفراد لإثارة روح العدوان على الآخرين لتتحول بالتالي الحياة إلى ساحة خير وايمان وسلام) [١٠]

وخلاصة القول: إن قضية مراعاة الحقوق في الوسط الإجتماعي، سواء بين أفراد العائلة ،أو بين أبناء المجتمع ،أو بين الحكومة والشعب ،من القضايا التي أكد عليها القرآن الكريم كثيراً، مما يدل على أن الإستقرار الإجتماعي لايتم إلا بها، ولا يتحقق من دونها، يقول الدكتور محمد نجاتي ـ أحد المتخصصين في علم النفس: (إن حرص القرآن على توجيه المسلمين إلى حب الآخرين وإلى التجمع وتوحيد الصفوف إنما ينمّي في نفوسهم عاطفة حب الغير ويقوي فيهم الميل إلى الإيثار والعمل على خير الناس والمجتمع عامة، ويضعّف فيهم إنفعالات الكراهية والبغضاء ودوافع الظلم والعدوان والميل الى حب الذات والإثرة ،ولاشك أن القدرة على حب الناس وإسداء الخير لهم والقيام بأعمال مفيدة للمجتمع إنما يقوي الشعور بالإنتماء الى الجماعة ،ويقضي على مشاعر العزلة والوحدة التي يشعر بها المرضى النفسيون، إنّ لشعور الفرد بانتمائه الى الجماعة وبأن له دوراً فعّالاً في المجتمع أهمية كبيرة في الصحة النفسية للإنسان، وقد فطن كثير من المعالجين النفسيين إلى أهمية العلاقات الإنسانية في الصحة النفسية، فقد إهتم ـ الفرد اولرـ بتوجيه مرضاه النفسيين إلى الإهتمام بالناس الآخرين ومحاولة الترفيه عنهم ومساعدة المحتاجين منهم، وكان يرى أنّ المريض النفسي الذي اندمج في المجتمع وتحسنت علاقته بالناس قد يشفى من مرضه النفسي، يقول أولر: (وابتغي من وراء هذا كله أن أحول إهتمام مرضاي إلى الغير، فمتى اندمج المريض في جماعته وأصبح مع أفرادها على قدم المساواة، يعاونهم ويساعدهم فقد برئ وعندي أنّ أهم ما أوصى به الدين هو حب الجار ومعاونته ،والشخص الذي يحجم عن معاونة غيره حقيق ان تنصب عليه المتاعب والمشكلات، إنّ كل ما تتطلبه الحياة من الفرد أن يكون عاملاً منتجاً، ومحباً للناس.[١١]

ثالثاً:الأخوّة

ومن الأسس المهمة التي وضعها القرآن الكريم لبناء المجتمع الصالح هي: الأخوة بين جميع أفراد المجتمع، وهذه الأخوة إمّا أن تكون على أساس الإشتراك في الدين، اوالإشتراك في الإنسانية، وهنا نقف باقتضاب على هذين القسمين:

١- الأخوّة الإيمانية

يعتبر هذا المبدأ من أهم الأسس التي وضعها القرآن الكريم لبناء المجتمع الإسلامي الصالح، حيث أكد عليها في أكثر من نص، منها قوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[١٢]

وفي تفسيره لهذه الآية يقول الشيخ مكارم الشيرازي: ((الأخوة الإسلامية، واحدة من الشعارات الإسلامية، المتجذرة في الإسلام، فهي شعار عميق وبليغ، مؤثر، وذو معنى غزير، إنّ الإسلام رفع مستوى الإرتباط والحب بين المسلمين إلى درجة جعلها بمستوى أقرب العلائق بين شخصين، وهي علاقة الأخوين التي تقوم العلاقة بينهما على أساس المساواة والتكافؤ فعلى هذا الأصل يشعرون فيما بينهم بالأخوة وإن عاش بعضهم في الشرق والآخر بالغرب... وبتعبير اخر إن الإسلام يرى المسلمين جميعاً بحكم الأسرة الواحدة، ويخاطبهم جميعاً بالإخوان والأخوات، ليس ذلك في اللفظ والشعار، بل في العمل والتعهدات المتماثلة ايضاً)[١٣]

ومنها قوله تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[١٤]

وهذه الآية المباركة تؤكد أيضاً الوحدة العميقة بين المؤمنين المرتكزة على أسس ثابتة في الفكر والضمير، والعمل، وليست ناتجة عن ظروف طارئة، أو مصالح شخصية، إنّما تتجسد عملياً من خلال الإرتباط بالله سبحانه وتعالى والقيام بالمسؤوليات والوظائف الشرعية: (ان طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة، طبيعة الوحدة وطبيعة التكافل وطبيعة التضامن، ولكنه التضامن في تحقيق الخير ودفع الشر، وتحقيق الخير ودفع الشر يحتاج الى الولاية والتضامن والتعاون، ومن هنا تقف الأمة المسلمة صفاً واحداً لا تدخل بينها عوامل الفرقة، وحيثما وجدت الفرقة في الجماعة المؤمنة، فثمة ولابد عنصر غريب عن طبيعتها وعن عقيدتها، هو الذي يدخل الفرقة، ثمة غرض أو مرض، يمنع السمة الاولى ويدفعها، السمة التي يقررها العليم الخبير ((بعضهم أولياء بعض)) يتجهون بهذه الولاية إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلاء كلمة الله، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة على الارض)[١٥]

٢- الأخوة الإنسانية

الإسلام يحترم الإنسان، بما هو إنسان، بغض النظر عن معتقداته الدينية، بشرط أن يراعي الأعراف العامة التي يتقيد بها المسلمون،ويلتزم بالعهود والمواثيق المبرمة بينه وبينهم، فغير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع المسلم، وليس لهم موقف عدائي من الإسلام والمسلمين ،فهذا الصنف لابد أن يتوفر له الأمن والسلام في أوساط المجتمع المسلم على أساس مبدأ التعاون والعدل والتعايش السلمي:

{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[١٦]

فهذه الآية المباركة تدعو المسلمين أن يتعاملوا مع من يختلف معهم في الإعتقاد على أساس البر والعدل، لأن ذلك من شأنه أنْ يعكس الوجه المشرق للإسلام والمسلمين في إحترام الإنسان، وحقوقه، من جهة، ويترك أثره الفاعل لدى غير المسلمين في الإنفتاح على الإسلام، وقيمه النبيلة، من جهة اخرى، يقول الشيخ محمد جواد مغنية: ((لصلة المسلم بغير المسلم ثلاثة أحكام في القرآن الكريم : الحرمة ،والوجوب ،والاباحة، تبعاً لنوع الصلة وكنهها:

ألحكم الأول: يحرم على المسلم أن يوالي من نصب العداء لدين الإسلام، ويلقي إليه بالمودة، بنص العديد من الآيات [١٧]، لأنّ هذه الموالاة تشجيع أو رضى بالعداوة لدين الله.

ألحكم الثاني: يجب على الحاكم المسلم أن يحكم بالعدل بين أعداء الدين تماماً، كما يحكم بين أبنائه، لأنّ الهدف من العدل حماية الإنسان وحقوقه من الظلم من حيث هو إنسان ،بصرف النظر عما يدين، وعلى هذا الأساس قال سبحانه وتعالى لنبيه: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [١٨]

الحكم الثالث: يسوغ للمسلم أن يبر و يحسن نصير المسلمين الذين لم يسبق أن قاتلوهم أو اضطروهم للهجرة والتشديد، كما تنص الآية التي نحن بصددها) [١٩]

رابعاً: العفو والصفح

والعلاقات الإجتماعية، من طبيعتها إن تحدث فيها التجاوزات والأخطاء ،وفي هذه الحالة أمام المعتدى عليه خياران: ان يرد بالمثل، ويأخذ حقه من خصمه، أو أن يعفو عن المسئ ويتجاوز عن خطئه، والاسلام يدعو في أكثر من آية إلى إعتماد الخيار الثاني، أي : العفو والصفح؛ لان (هذا الأساس يحول دون تفتيت العلاقات الأجتماعية، ويمنع من تمزقها، وهوبمثابة إعطاء فرصة أخرى للخاطئ في سبيل تقويم سلوكه، ورجوعه إلى حضيرة الوئام والإنسجام) [٢٠]، ولكن بشرط أن تظهر على المعتدي علامات الندم وأمارات الأسف على قيامه بذلك الفعل، وأن لا يكون العفو سبباً في إغرائه على العدوان والتجاوز مرةً أخرى، قال الله تعالى: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [٢١]

فهذه الآية المباركة تتحدث عن صفات المتقين، وتذكر لهم ثلاثة صفات أساسية، وهي الإنفاق في السراء والضراء،وكظم الغيض ،والعفو عن الناس، وتجعل هذه الصفات من جماع الإحسان، يقول الشيخ ابن عاشور: (إنّ ملازمة الإنفاق في هذين الحالين، تدل على أنّ محبة نفع الخير بالمال، الذي هو عزيز على النفس، قد صارت لهم خلقاً لا يحجبهم عنه حاجب، ولا ينشأ ذلك الا عن نفس طاهرة... وكظم الغيظ، امساكه واخفاؤه حتى لا يظهر عليه، وهومأخوذ من كظم القربة، اذا ملأها وامسك فمها، قال المبرد: فهو تمثيل للامساك مع الامتلاء، ولا شك إن أقوى تأثيراً على النفس، القوة الغاضبة، فتشتهي إظهار آثار الغضب ، فاذا استطاع إمساك مظاهرها، مع الامتلاء منها، دل ذلك على عزيمة راسخة في النفس ،وقهر الإرادة للشهوة، وهذا من أكبر قوى الأخلاق الفاضلة وأمّا صفة العفو فهي تكملة لصفة كظم الغيظ بمنزلة الأحتراس؛ لأنّ كظم الغيظ قد تعرضه ندامة فيستعدي على من غاظه بالحق، فلما وصفوا بالعفو عمن اساء اليهم دل ذلك على أنّ كظم الغيط وَصفٌ متأصل فيهم، مستمر معهم، واذا اجتمعت هذه الصفات في نفس سهل مادونها لديها، وبجماعها يجتمع كمال الاحسان) [٢٢]

وقال الله سبحانه وتعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [٢٣]

{وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [٢٤]

{وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إَلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [٢٥]

ومن هنا كانت صفة العفو والتسامح من أهم سمات الرسول الاكرم وصفاته الأخلاقية؛ ولذا أثّر ذلك الاثر الكبير في النفوس وأحدث ذلك التغيير الواسع في العلاقات الاجتماعية والروابط الانسانية: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [٢٦]

خامساً:التناصح

النصح والنصيحة، كلمة جامعة، يعبر عنها عن حسن النية وارادة الخير من قول أو عمل [٢٧]، وهي في قولهم: نصحت له الودّ، اي: اخلصته [٢٨] والنصيحة، شعبة من شعب فريضة الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، وقد حث عليها التشريع الأسلامي في أكثر من نص، وجعلها أحد الوظائف الأساسية على الأمة الإسلامية، تجاه أئمة المسلمين، وفيما بينهم [٢٩] وتجسيد هذه الصفة الأخلاقية، تكشف عن الشعور بالمسؤولية، التي يتحلى بها أفراد المجتمع أزاء بعضهم البعض الآخر، من جهة، وعن العلاقة الصميمة فيما بينهم من جهة اخرى، حيث تدفع كل واحد منهم الى إرشاد أخيه الآخر الى ما فيه صلاحه ومنفعته، وتحقيق سعادته، وتترتب عليها منافع إجتماعية كثيرة من أهمها: الحد من ارتكاب الأخطاء، والوقوف أمام إتساع دائرة الممارسات السيئة، ومن هنا كان هذا الخلق النبيل من أهم صفات الأنبياء: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {} قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ {} قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } [٣٠]

يقول السيد فضل الله في تفسيره لهذه الآية: (وقد يستوحي المتأمل من كلمة (النصح)الجو النفسي الحميم الذي كان يعيشه نوح تجاه قومه، فهو الإنسان الذي يتألم لإنحرافهم وظلالتهم، ويفكر في أفضل الطرق لإخراجهم من ذلك الضياع فيقدم لهم النصيحة من كل روحه وقلبه ، وتلك هي روحيّة الداعية في مواجهته للناس الذين يدعوهم الى الله) [٣١] وهكذا فعل الانبياء (ع) من بعده.[٣٢]

سادساً: افشاء السلام

السلام هو التحية التي وضعها التشريع الإسلامي للمسلمين، من أجل تبادل المشاعر الودية، والعواطف النبيلة فيما بينهم، ومع غيرهم، والتحية ظاهرة اجتماعية عرفتها البشرية على مختلف العصور، وقد استخدمتها أغلب المجتمعات الإنسانية ـ كما يقول العلامة الطباطبائي ـ للتعبير عن نوع من الخضوع والهوان والتذلل، يبديه الداني للعالي، والوضيع للشريف، والعبد لمولاه، وبالتالي تكشف عن نوع من الإستعباد الذي لم يزل رائجاً بين الأمم منذ عصر الهمجية ولايزال[٣٣] إلا أن الإسلام أعادها الى أصلها الفطري، وأعاد اليها محتواها الإنساني، وجعلها رمزاً للعلاقات في اللقاءات [٣٤] وقد تحدث عنها القرآن الكريم والسنة الشريفة في أكثر من نص [٣٥] ودعى إليها في أكثر من آية: {وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً } [٣٦] ففي هذه الآية المباركة يأمر الله سبحانه وتعالى المسلمين، أن يقابلوا التحية سواء كانت قولاً او عملاً[٣٧] بأحسن منها أو مثلها؛ لأنّ (الله سبحانه وتعالى يريد للانسان المسلم أنْ يعبر عن تجاوبه وتفاعله مع المبادرات الروحية والعاطفية، فاذا حيّاه الإنسان بتحية فعليه أنْ يردها بتحية مماثلة، أو أحسن منها؛ لأنَّ التحية بادرة محبة وعاطفة ولاسيما اذا كانت تحية الإسلام وهي كلمة: (السلام عليكم)؛ لان هذه الكلمة توحي بكل الأحاسيس والأفكار والأجواء التي تحملها كلمة السلام، في ما توحيه من المبادرة التي يقدمها الإنسان لإخيه، ليعبّر له من خلالها بأن علاقته به هي العلاقة التي توحي بالأمن والطمأنينة، وعدم الاعتداء، ويطلب منه أن يبادله بها،سلاماً بسلام، ومحبة بمحبة، والله لايريد من الإنسان ان يتنكر لهذه الدعوة ولهذه العاطفة ، ولذا اعتبر رد السلام واجباً عند الفقهاء من هذه الآية، وقد يكون ذلك أحد الوسائل الإسلامية التي يستهدف الإسلام منها توثيق الروابط بين الناس عموماً وبين المؤمنين بشكل خاص)[٣٨]

وبهذا يتضح إنّ الإسلام جعل التحية أحد وسائل توثيق العلاقات الإجتماعية وترسيخها بين أفراد المجتمع؛لأنها:(مفتاح يفتح مغالق القلوب فيهم واشعة دافئة تذيب الثلج، وتدفع الضباب الذي بينهم)[٣٩]

سابعاً: الستر على عيوب الناس

الستر هو تغطية الشي واخفاؤه [٤٠] ويعني هنا، ان يسعى الإنسان المسلم بكل جهده الى ستر عيوب الناس وعدم الكشف عنها للآخرين، وهذه الصفة الحميدة، تكشف عن السمو الأخلاقي للفرد الذي يتحلى بها من جهة، وتترك اثاراً كبيرة على توثيق العلاقات بين أبناء المجتمع، وتعميق الإنسجام الإجتماعي فيما بينهم من جهة أخرى، فالفرد الذي يجسد هذه الصفة، يمارس عملاً تربوياً غاية في الأهمية، في الوسط الإجتماعي، حيث يؤكد علماء التربية إن الإنسان كلما انكشفت اخطاؤه أكثر وانتشرت دائرتها أوسع، كلما صعب إصلاحه، وتعسر تقويمه، وبالعكس تماماً كلما خفيت ذنوبه عن الناس، ولم تتسع دائرتها، كان الى التوبة أقرب والى الصلاح أسرع.

إنّ الإنسان الذي يمارس هذا السلوك النبيل، في الوسط الإجتماعي، يجسد في الحقيقة خلقاً الهياً، وصفة ربانية ؛لان (من صفات الله واسمائه الحسنى (الساتر) فهو يستر عباده بفضله، ويعرف عنهم مالو عرف الناس بعضهم عن بعض لتباغضوا ، ولكن الله تعالى، يستر عباده ويرخي عليهم ستراً من فضله ويرأف بهم ويرحمهم ويغفر لهم ويقبل توبتهم) [٤١]

ومن هنا أنكر القرآن الكريم إشاعة عيوب المؤمنين، وأوعد الذين يسعون باشاعة الفواحش في أوساطهم بعذاب اليم في الدنيا والاخرة: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [٤٢]

قال الشيخ إبن عاشور، في تفسيره لهذه الآية: (إسم الموصول ـ الذين ـ يعم كل من يتصف بمضمون الصلة، فيعم المؤمنين والمنافقين، والمشركين، فهو تحذير للمؤمنين وإخبار عن المنافقين والمشركين، وجعل الوعيد على المحبة لشيوع الفاحشة في المؤمنين، تنبيهاً على إن محبة ذلك، تستحق العقوبة ؛لأن محبة ذلك دالة على خبث النية نحو المؤمنين، ومن شأن تلك الصفة أن لا يلبث صاحبها الا يسيراً حتى يصدر عنه ماهو محب له أو يسر بصدور ذلك من غيره...

ومعنى: (ان تشيع الفاحشة) ان يشيع خبرها، لان الشيوع من صفات الإخبار والحديث... والفاحشة: هي الفعلة البالغة حداً عظيماً في الشناعة، وشاع اطلاقها على الزنا،ونحوه،كما في قوله تعالى:{وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً } [٤٣]

وتأتي بمعنى الأمر المنكر، كقوله تعالى: {وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } [٤٤]

وتأتي بمعنى العمل الذي تجاوز حد الآداب وعظم إنكاره[٤٥]، كما في قوله:{إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } [٤٦]

ومن أدب هذه الآية، إنّ شأن المؤمن أن لايحب لإخوانه المؤمنين إلا ما يحب لنفسه، فكما انه لايحب ان يشيع عن نفسه خبر سوء، كذلك يجب عليه ان لا يحب اشاعة السوء عن إخوانه المؤمنين ،ولشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين بالصدق أو الكذب مفسده أخلاقية كبيرة... لهذا ذيّل هذا الادب الجليل بقوله ((والله يعلم وأنتم لا تعلمون)) أي يعلم ما في ذلك من المفاسد فيعظكم لتجتنبوا، وانتم لا تعلمون) [٤٧]

وإشاعة الفحشاء كما يقول الشيخ مكارم الشيرازي، لها صور عديدة ومصاديق متنوعة (فتارة تكون من قبيل إفتعال تهمة كاذبة ونقلها بين الناس، وأخرى تكون بإنشاء مراكز للفساد ونشر الفحشاء ،وثالثة بتوفير وسائل المعصية للناس، أو تشجيعهم على ارتكاب الذنوب، ورابعة يرتكب الذنب في العلن دون ملاحظة لدين ولا رعاية لقانون ولا التفات للآداب العامة، [٤٨] ومن مصاديقها ايضاً كشف عيوب المؤمنين واظهار مساوئهم كما نصت على ذلك روايات اهل البيت (ع) [٤٩]

ثامناً: حسن الظن

يعتبر حسن الظن، من أهم الأسس التي وضعها القرآن الكريم لبناء المجتمع الصالح، فإشاعة هذا المبدأ في الوسط الإجتماعي من شأنه أنْ يخلق حالة الثقة والإطمئنان بين أفراد المجتمع، ويهيأ نفوسهم للتعاون والإنسجام، وتبعاً لذلك يتحقق التغيير، وتتهيأ الأرضية الصالحة للتكامل، مادياً ومعنوياً، أما إذا فقدت الثقة وزال الإطمئنان وشاع سوء الظن بين الأفراد فستضطرب العلاقات الاجتماعية، ويحكمها التوتر، وتسودها الاختلافات والتناحرات، وتنتشر في ارجائها الخصومة والممارات والجدل العقيم (إذا تحول الأساس في الحياة الإجتماعية من الثقة الى الشك وسوء الظن فستكون القاعدة في التعامل بين الناس هي الحذر والريب وتسقيط الآخرين والتآمر عليهم وإهدار كراماتهم والنيل من مواقعهم الإجتماعية، الامر الذي يؤدي الى نشوب خلافات وصراعات تسلب المجتمع الأمن والسلام والاستقرار)[٥٠]

ومن هنا شدد القرآن الكريم على ذم هذه الصفة والتأكيد على تحريمها: { وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } [٥١]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ } [٥٢]

وفي تفسير هذه الاية، يقول السيد الشيرازي (قده): (اجتنبوا الظن السئ وانما قال كثيراً لانه لابد ان يوجد في الكثير من الظن السئ، الظن المحرم بخلاف قليل الظن فانه بما لايكون فيه المحرم، بالإضافة الى أنه ليس تحت إختيار الإنسان فإنّه حالة نفسية قد تأتي بدون الإختيار، فلا يمكن النهي عنه، اما كثير الظن فانه تحت الاختيار؛إذ الكثرة لا تحصل الا بالتتبع والانسياق وراء الإنكار، وإنما قال إجتنبوا كثيرا من الظن لـ (إن بعض الظن اثم) وقد قرر في علم الاصول وجوب الاجتناب عن اطراف الشبهة المحصورة، فاذا كان بعض الظن إثماً، وجب الاجتناب عن الاطراف المحتملة لذلك، والظن السئ إما حرام بنفسه، واما حرام لأنه مقدمة للعمل المحرم؛ إذ الذي يظن سوء غالباً ما يرتب الأثر العملي على ظنه السئ [٥٣]

تاسعاً: النهي عن الاستهزاء والسخرية

ولما كان اسلوب الأستهزاء والسخرية، يتنافى مع المتبنيات الفكرية والأخلاقية للفرد المسلم ويؤدي الى تهديم البناء الأجتماعي وتفتيت أواصر وحدته وانسجامه فقد حرّم القرآن الكريم هذا الأسلوب الذي يمارسه بعض الناس ضد بعضهم الآخر، إنطلاقاً من عقد نفسية يعيشها الإنسان توحي له بالتفوق المالي أوالإجتماعي او العرقي،:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [٥٤]

فهذه الآية المباركة، تنهي أفراد المجتمع المسلم من الإتصاف بهذا الخلق السئ ؛لانه يضرهم جميعاً، فالساخر من أخيه المسلم يعتبر وفق الرؤية القرآنية ظالماً، وقد هدده الله سبحانه بأشد العقوبات [٥٥]

أما من سُخِر منه واستُهزِأ به فستتعرض شخصيته للتشويه والإبتذال، مما يعني تشويه لجميع أفراد المجتمع بإعتبارهم نفس واحدة كما ينص القرآن على ذلك:((ولا تَلمِزُوا أنفُسَكُم))

يقول سيد قطب (رحمه الله): (إنّ المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهَدي القرآن، مجتمع له ادب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس، وهي من كرامة المجموع، ولمز اي فرد هو لمز لذات النفس؛لان الجماعة كلها وحدة وكرامتها واحدة) [٥٦]

عاشراً: النهي عن التجسس

التجسس هو تتبع عثرات الناس، والإطلاع على أسرارهم بخفاء، ومثله التحسس ،الا ان التجسس يستعمل في الشر، والتحسس يستعمل في الخير [٥٧]، كما جاء في سورة يوسف:

{يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } [٥٨]

وقد حرم التشريع الأسلامي هذا العمل السئ حيث صرح القرآن الكريم بالنهي عنه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ } [٥٩] وأكدت السنة الشريفة على منعه باكثر من نص [٦٠] ؛ لأنه يؤدي الى إنتهاك حقوق الناس وكشف أسرارهم وهتك حرماتهم التي أوصى الله سبحانه وتعالى برعايتها وصيانتها، ويترك اثاراً سلبية على وحدة المجتمع وإنسجامه وتآلفه وإستقراره ، فمن يتجسس سيطلع على خفايا الناس وأسرارهم، وسيترك ذلك أثره السئ على نظرته لهم، وتعامله معهم ؛ لأن الناس، غالباً ما يفعلون في السر اعمالاً، لايفعلونها في العلن، ومن الجهة الأخرى اذا ما عرف

الاخرون بفعله فمن الطبيعي ان تكون لهم ردود فعل سلبية تجاهه، ربما لا تقف عند حدود المشكلة نفسها، بل تتشظى الى مساحات أكبر، وهذا الفعل، وردود الفعل ، ستؤدي في نهاية المطاف الى زعزعة الأستقرار الاجتماعي و اضطرابه وانتشار العداوة والبغضاء في أوساطه، وهذا ما يتنافى مع رؤية الإسلام في بناء المجتمع المسلم، الذي أراد لأفراده أن يعيشوا الإلفة والتعاون والإنسجام ، وأن يكونوا آمنين على انفسهم وبيوتهم واسرارهم، نعم: (إن هذا المبدأ الإجتماعي لا يشمل الحالات التي تمس فيها المصلحة العليا للإسلام والمسلمين، التي تستدعي الإطلاع على بعض الأوضاع الخفية للاشخاص والمواقع والأحداث المتعلقة بالآخرين، مما يخاف ضرره، او يراد نفعه، او يركز قاعدته، فيجوز اللجوء الى هذا الإسلوب في نطاق الضرورة الأمنية والسياسية والأقتصادية، إنطلاقاً من قاعدة التزاحم بين المهم والأهم، لتغليب المصلحة التي تقف في مستوى الأهمية القصوى على المفسدة الناشئة من التجسس ؛ فإنّ حرمة المسلمين تتقدم على حرمة الشخص او الأشخاص في ذلك كله)[٦١]

الحادي عشر: النهي عن الغيبة

الغيبة: هي أن يذكر الانسان غيره بما فيه من عيب، من غير أن يكون قد أحوج الى ذلك ، [٦٢]وقد أنكر القرآن الكريم هذا الفعل ، أشد إنكار، وصوره بأبشع صورة ، على الطريقة التخيلية ، حتى يثير في الإنسان الاشمئزاز والنفور من ذلك السلوك: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ }[٦٣]

فهذه الآية المباركة تشبه لنا الغيبة للانسان المؤمن، كمن يأكل لحم أخيه الميت، ويتلذذ بطعمه، وهي صورة تقشعر لها الجلود، وتشمئز منها النفوس، (وقد لا تكون هذه الصورة هي ما يواجهه الناس في مسألة الغيبة بالحس ولكنها تحمل المواصفات نفسها بالايحاء ؛ فانّ الغائب كالميت ، في عجزه عن الدفاع عن نفسه، كما إن أخوة الإيمان كأخوة النسب في المفهوم القرآني ، وكرامة الانسان كلحمه مما يجعل الآكل من كرامته والاعتداء عليها كالآكل من لحمه ، بل قد يكون أكثر تأثيراً في الواقع من ذلك، فاذا كنتم تكرهون الصورة الاولى لوحشيتها الحسية، فاعملوا على ان تكرهوا الصورة الثانية في وحشيتها المعنوية)[٦٤] وهذا الإنكار الشديد، من قبل القرآن الكريم ، لهذا العمل إنما هو ناتج من الآثار السيئة الكبيرة التي يتركها على الفرد والمجتمع ، على حد سواء ، فالغيبة تشوه سمعة الانسان المغتاب ، وتهدر كرامته ، وتعرض مكانته الاجتماعية للاهتزاز والتزلزل.

يقول الشيخ الشيرازي: ان ماء وجه الأفراد كأنفسهم وأموالهم ، بل هو أهم من بعض الجهات ، والاسلام يريد أنْ يحكم المجتمع أمن مطلق، فلا يكفي أن يكف الناس عن ضرب بعضهم فحسب، بل لابد أنْ يكونوا آمنين من السنتهم)[٦٥] وأما آثارها على المجتمع فهي تفتت عرى العلاقات، و أواصر الاخوة ، وتلوث الفضاء العام للمجتمع الاسلامي، الذي أراده الله سبحانه وتعالى أنْ تشيع في أوساطه الفضيلة ، ويفوح في أرجائه نسيم المحبة وعطر المودة.

الثاني عشر: النهي عن النميمة

النميمة: الوشاية، وهي أن يسعى الشخص بنقل ما يفسد الود ويخرب العلاقة بين طرفين أو أكثر ، وهي عادة قبيحة ؛لانها تفرق الناس ، وتشتت شملهم ، وتوغر في قلوبهم العداوة والبغضاء ، وقد نهى القرآن الكريم عن هذا الخلق الذميم بقوله تعالى {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ {} هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ {} مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ }[٦٦]

يقول الشيخ مكارم الشيرازي: (مشاء بنميم، تطلق على الشخص الذي يمشي بين الناس لايجاد الإفساد والفرقة والخصومة والعداوة فيما بينهم، وقد ورد هذان الوصفان بصيغة المبالغة ، والتي تحكي غاية الإصرار في العمل والإستمرار بهذه الممارسات القبيحة)[٦٧] هذا وقد شددت الاحاديث الشريفة على ذم هذه العادة السيئة، حتى وصفت فاعلها بشرار الناس[٦٨]

المطلب الثاني: دور هذه الاسس في تحقيق الامن الاجتماعي

إنّ تجسيد هذه الأسس وتطبيقها في الوسط الإجتماعي، تترتب عليه معطيات كثيرة، وفوائد عظيمة، من أهمها:

اولاً: الإستقرار النفسي

إنّ الإستقرار النفسي للأفراد والمجتمعات، لا يأتي من فراغ ، بل هو نتيجة طبيعية لتوفر عدة عوامل منها: سلامة العلاقات الاجتماعية، التي يعيشها الإنسان حيث يؤكد القرآن الكريم أن المجتمع الذي تبتني علاقاته على أساس القيم الدينية، والمبادئ الانسانية ، سيوفر لأفراده بيئة امنة وأجواء مستقرة ؛لأنّ الإنسان الذي يعيش في مجتمع يحترم حياة الإنسان، ويصون كرامته ، ويبني علاقاته على أساس الاخوة والتعاون ، والتناصح والثقة ، وحسن الظن ، ويتجاوز عن الاخطاء ويقيل العثرات، ويبتعد عن الإثم والعدوان ، وسوء الظن، وعدم الثقة والتناحر والتباغض ، سيشعر "دون شك" بالأمن والإستقرار والإطمئنان.

إن الإنسان في ظل العلاقات الإجتماعية الإسلامية لا يشعر بالوحدة ، ولا يعيش العزلة ، ولا يصاب بالاكتئاب ؛ لأنه يجد نفسه في وسط اجتماعي يشاركه حياته في السراء والضراء ، يفرح لفرحه ، ويحزن لحزنه ، ويقف معه في جميع الظروف ، ويؤازره في كل الاحوال، الامر الذي يبعد عنه القلق والاضطراب، وعلى العكس من ذلك ، حينما يجد الإنسان نفسه في وسط اجتماعي تتهدد فيه الحياة ، وتنعدم فيه القيم ، وتنتشر فيه التهم والافتراءات ، وسوء الظن ، ستتحول حياته الى جحيم ، ويسوده الهلع والخوف وعدم الاستقرار ، ولاتجدنا بحاجة الى مزيد من الاستدلال على هذا الموضوع ، باعتباره امراً واضحاً يدركه الجميع.

ثانياً: الإنسجام الإجتماعي

ومن الآثار المترتبة على العلاقات الإجتماعية السليمة، هي:الإنسجام الإجتماعي بين أبناء المجتمع ، على مختلف انتماءاتهم العرقية أو الدينية أو المذهبية ؛لأن التشريع الإسلامي ، كما اتضح ، يعطي للجميع حقوقهم ، ويضمن لهم حرياتهم ، ضمن اطار الأحكام الإسلامية العامة ، وهذا الاساس ـ إعطاء الحقوق وضمان الحريات ـ من أهم عوامل تحقيق الإنسجام الإجتماعي ، وهذا ما تحقق بأروع صورة في مجتمع المدينة المنورة ، الذي خضع لحكم الإسلام في عهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث كان مجتمعاً متعدد الاعراق والاديان ، ولكن مع ذلك ضمن الاسلام حقوق الجميع في الوثيقة التي وضعها الرسول الاكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) لتنظيم علاقات المجتمع الاسلامي، حينذاك ، والتي سميت بصحيفة النور [٦٩]

وموضوع الإنسجام الإجتماعي قضية في غاية الأهمية ؛لأنّه الأساس والمنطلق لجميع آفاق التكامل ومجالات التنمية في حياة الإنسان ، فلا يتكامل المجتمع علمياً ، ولا يسمو روحياً ، ولا يتطور اقتصادياً، ولا يحمي نفسه من اعتداءات الآخرين ، وبالتالي لا يتحقق له أي نوع من أنواع التنمية والتطور الا في ظل الانسجام والاستقرار والتعاون الاجتماعي.

إنّ المجتمع الذي يبتلى بالصراعات والتناحرات ، تحت أي عنوان كانت ، وبأية حجة حدثت ، سوف لن يجني منها الا مزيداً من التخلف على الاصعدة كافة، ومن هنا كانت مهمة الانبياء الأساسية هي رفع الإصر والأغلال التي كانت تكبّل المجتمعات ، فكرياً وروحياً وعملياً ، وتحول دون تحررهم وانطلاقهم الى فضاء القيم الإنسانية والفضائل الإسلامية: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [٧٠]

النتائج :

لقد إتضح من خلال البحث ما يلي:

١. إنّ إقامة المجتمع الصالح الذي تسوده قيم الحق والعدالة ، والأخلاق الفاضلة ، من أهم الأهداف التي ينشدها القرآن الكريم ، ولذا وضع القرآن الكريم ، من أجل تحقيقه ، الكثير من الأحكام . الوجوبيّة ، التي من شأنها أن تدفع أبناء المجتمع المسلم الى تجسيد هذا الهدف عملياً في واقعهم الإجتماعي .

٢. إنّ المبادئ التي وضعها القرآن الكريم ، من أجل بناء المجتمع الصالح،مبادئ إنسانية، تتوافق مع المقتضيات الفطرية ، والأحكام العقلية السليمة .

٣. تترتب على اعتماد هذه المبادئ عملياً ، في الوسط الاجتماعي ، منافع كثيرة ، من أهمها : إيجاد الإستقرار النفسي للأفراد ، وتوفير الإنسجام الإجتماعي فيما بينهم ، وبالتالي تحقيق الأمن والسلم الإجتماعي بين مختلف الشرائح الإجتماعية .

الهوامش:

---

(١) فضل الله، محمد حسين ، من وحي القرآن :٧/٤٠١

(٢) النساء : ٩٢ ــ ٩٣

(٣) السبزواري ، السيد عبدالاعلى ، تفسير مواهب الرحمن : ٩/ ١٤١

(٤) المائدة : ٣٢ــ ٣٤

(٥) مغنية محمد جواد ، تفسير الكاشف : ٣، ٤٨

(٦) سئل الامام الصادق (ع) عن معنى الآية : (ومن احياها فكانما احيا الناس جميعاً) قال : من حرق او غرق ثم سكت ، ثم قال : تأويلها الاعظم ان دعاها فاستجابت له)

(٧) الشيرازي ، مكارم ، التفسير الامثل :٣/ ٦٨٢

(٨) المائدة : ٢

(٩) السبزواري ، السيد عبدالاعلى ، مواهب الرحمن : ١٠/ ٢٦٣ ــ ٢٦٤

(١٠) فضل الله ، محمد حسين ، وحي القرآن : ٨ / ٢٩

(١١) نجاتي ، د . محمد ، القرآن وعلم النفس : ٢٧٩

(١٢) الحجرات : ١٠

(١٣) الشيرازي ، مكارم ، تفسير الامثل : ١٦ / ٥٤١

قال الامام الصادق (ع) : (انما المؤمنون اخوة بنو ابِ و امِ ، اذا ضرب على رجلِ منهم عرق سهر له الاخرون) المجلسي ، محمد باقر ، البحار : ٧٤ / ٢٦٤

وقال الامام الحسن العسكري : (المؤمن اخو المؤمن لامه وإبيه) المجلسي ، محمد باقر ، البحار : ٥٠ / ٣١٧

(١٤) التوبة : ٧١

(١٥) قطب ، سيد ، في ظلال القرآن : ٣/ ١٦٧٦

(١٦) الممتحنة : ٨

(١٧) راجع سورة الممتحنة : ١ــ ٩

(١٨) المائدة : ٤٢

(١٩) مغنية ، محمد جواد ، التفسير المبين :١/ ٧٣٦
(٢٠) الحيدري ، عقيل ، معالم الحضارة القرآنية :١٣٢
(٢١) آل عمران : ١٣٤
(٢٢) ابن عاشور ، محمد التحرير والتنوير : ٣/ ٢٢٢
(٢٣) النور : ٢٢
(٢٤) الشورى : ٤٠
(٢٥) البقرة : ٢٣٧
(٢٦) ال عمران : ١٥٩
(٢٧) ابن عاشور ، محمد التحرير والتنوير : ١٥٠/٨
(٢٨) الراغب ، قاسم ، المفردات ، مادة (نصح)
(٢٩) عن تميم الداري : ان النبي (ص) قال: (الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) الشافعي .... المسند : ٣٣٣ ، وابن حنبل ، احمد ، مسند احمد : ٤/ ١٠٢
(٣٠) الاعراف : ٥٩ ــ ٦٢
(٣١) فضل الله ، محمد حسين ، من وحي القرآن : ١٠/ ١٦٠
(٣٢) الاعراف : ٦٥ــ ٦٨ ،٧٣ــ ٧٩ ، ٨٥ــ ٩٣، وهود : ٣٤
(٣٣) الطباطبائي ، محمد حسين ، تفسير الميزان : ٥/ ٣١
(٣٤) الاصفي ، محمد مهدي، السلام في الاسلام : ١٥٨
(٣٥) راجع :النور :٦١ ، ٢٧ ، والانعام ، ٥٤ ، وراجع : المجلسي ، محمد باقر ، البجار : ٧٦/٣ ومابعدها .
(٣٦) النساء : ٨٦
(٣٧) روي عن الامام الباقر والصادق عليها السلام ان : (المراد بالتحية في الاية السلام وغيره من البر) وجاء في (المناقب) ان جارية اهدت الى الامام الحسن(ع) باقة من الورد ، فاعتقها ، وحين سأل عن ذلك استشهد بقوله تعالى :(واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) الشيرازي ، مكارم ، تفسير الامثل : ٣/ ٣٦١ راجع المجلسي ، محمد باقر ، البحار:٤١٧/٤٣
(٣٨) فضل الله ، محمد حسين ، من وحي القرآن : ٣٨٣/٧
(٣٩) الخطيب ، عبدالكريم ، التفسير القرآني للقرآن : ٣/ ٨٥٢
(٤٠) الراغب الاصفهاني ، حسين ، المفردات : ٢٩٧
(٤١) الاصفي ، محمد مهدي ، السلام في الاسلام : ١٥٠
(٤٢) النور : ١٩
(٤٣) النساء : ١٥
(٤٤) الاعراف : ٢٨
(٤٥) ابن عاشور ، محمد ، التحرير والتنوير :٢ / ١٠٤
(٤٦) البقرة : ١٦٩

(٤٧) ابن عاشور ، محمد ، التحرير والتنوير : ١٨ / ١٤٨ (مع اختصار يسير)
(٤٨) الشيرازي ، مكارم التفسير ، الامثل : ٥٢/١١
(٤٩) قال الامام الصادق (ع) : من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته اذناه ، فهو من الذي قال الله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {١٩} النور :١٩، الكليني ، محمد ، الكافي : ٢، /٣٥٧ ،
وقال الرسول الاكرم (ص) : (من ستر اخاه في فاحشةٍ رآها عليه ستره الله في الدنيا والاخرة) كنز العمال : ٦٣٩٢
(٥٠) الاصفي ، محمد مهدي ، السلام في الاسلام :١٢٥
(٥١) يونس : ٣٦
(٥٢) الحجرات : ١٢
(٥٣) الشيرازي ، محمد ، تقريب القرآن الى الاذهان : ٥/ ٢٠٨
(٥٤) الحجرات : ١١
(٥٥) المطففين : ٢٩ ــ ٣٤ ، والتوبة : ٧٩
(٥٦) قطب سيد ، في ظلال القرآن /٣٣٤٥
(٥٧) الطباطبائي ، محمد حسين ، تفسير الميزان : ١٨/ ٣٢٣
(٥٨) يوسف : ٨٧
(٥٩) الحجرات : ١٢
(٦٠) قال رسول الله (ص) : (من اطلع عليك فحذفته بحصاة ففقأت عينه فلا جناح عليك)
وقال (ص) : (لا تطلبوا عثرات المؤمنين ، فانه من يتبع عثرات اخيه تتبع الله عثرته ومن يتبع الله عثرته يفضحه ولو في جوف بيته) الكليني ، محمد ، الكافي : ٣٥٥/٢
(٦١) فضل الله ، محمد حسين ، من وحي القرآن : ٢١ / ١٥٣
(٦٢) الراغب الاصفهاني ، ابو القاسم ، المفردات : ٤٨٥، قال الرسول الاكرم (ص)
(الغيبة ذكرك اخاك بما يكره ، فان كان فيه ما تقول فقد اعتبته ، وان لم يكن فيه ماتقولت فقد بهته)
(٦٣) الحجرات : ١٢
(٦٤) فضل الله ، محمد حسين ، من وحي القرآن : ٢١/ ١٥٥
(٦٥) الشيرازي ، مكارم ، تفسير الأمثل : ١٦/ ٥٢٢
(٦٦) القلم : ١٠ــ١٢
(٦٧) الشيرازي ، مكارم ، تفسير الامثل : ١٨ / ٥٢٩
(٦٨) قال رسول الله (ص) : (الا اخبركم بشراركم ؟ قالو : بلى يارسول الله ، قال : امشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحية) المجلسي ، محمد باقر ، البحار : ٧٥/ ٢٦٤
(٦٩) راجع : ابن هشام ، عبدالملك ، سيرة النبي : ١٤٧/٢
(٧٠) الاعراف : ١٥٧

المصادر

١. القرآن الكريم
٢. الآصفي ، محمد مهدي ، السلام في الاسلام ، المشرق للثقافة والنشر طبعة اولى ، ١٤٢٤ هـ ، طهران .
٣. إبن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، بيروت .
٤. إبن هشام ، عبدالملك ، سيرة النبي ، مطبعة مصطفى الباني ، ط١ ١٣٥٥
٥. إبن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ط١ ، ١٩٩٧ م ، بيروت .
٦. الاصفي ، محمد مهدي ، الكلمة الطيبة في القرآن ، المشرق للثقافة والنشر، ط١ ، ١٤٢٤ هـ ، طهران .
٧. الحيدري ، عقيل ، معالم الحضاررة القرآنية ، منشورات الاجتهاد ، ط ١، ١٤٢٩ هـ ، قم المقدسة .
٨. الراغب الاصفهاني ، الحسين ، المفردات ، مؤسسة الاعلمي ، ط١ ، ١٤٣٠ هـ ، بيروت .
٩. السبزواري ، السيد عبدالاعلى ، مواهب الرحمن دار التفسير ، ط٢ ، ١٤٢٨ هـ .
١٠.الشيرازي مكارم ، التفسير الامثل ، الاميرة ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ بيروت .
١١. الشيرازي ، سيد محمد ، تقريب القرآن الى الأذهان ، دار العلوم ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ .
١٢. الطباطبائي ، محمد حسين ، تفسير الميزان ، مؤسسة اسماعيليان ، ط٥، ١٤١٢ هـ .
١٣. فضل الله ، محمد حسين ، من وحي القرآن ، دار الملك ، ط٢ ، ١٤١٩هـ .
١٤. قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، دار الشروق ، ط١٥ ، ١٤٢٣ هـ ، القاهرة
١٥. قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ط ١٧ ، ١٤١٢ هـ بيروت .
١٦. الكليني ، محمد بن يعقوب ، اصول الكافي ، دار الكتب الاسلامية ، ط٣ ، ١٣٨٨ هـ ش ، طهران .
١٧. مغنية ، محمد جواد ، تفسير الكاشف ، دار العلم للملايين ، ط ١، ١٩٩٠ م بيروت .
١٨. مغنية ، محمد جواد ، التفسير المبين ، بنياد بعثت قم المقدسة .
١٩. مجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار ، دار احياء التراث العربي ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ
٢٠. نجاتي ، د . محمد عثمان ، علم النفس في حياتنا اليومية . دار القلم ط١ ١٩٨٤ م .